

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

إِنَّ لِلظُّلْمِ مَعَانِيًا كَثِيرَةً. فَقَدْ يُعْرَفُ كَتَعَدِّيِ الحُدُودِ أَوْ الرِّبْعِ مِنَ الحَقِّ إِلَى البَاطِلِ أَوْ أَنْ يُضَيَّرَ الشَّخْصُ غَيْرُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ التَّصَرُّفِ فِي مَالٍ غَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ. وَتُسْتَحْدَمُ كَلِمَةُ الظُّلْمِ خَاصَّةً لِأَصْحَابِ القُوَّةِ وَالسَّيْطِرَةِ إِذَا تَصَرَّفُوا فِي رَعِيَّتِهِمْ جَبَّارِينَ بِغَيْرِ قِسْطٍ وَلَا عَدَالَةٍ. وَيُذَكَّرُ الظُّلْمُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَتِي مَرَّةٍ بِمَعَانِي الكُفْرِ، والشُّرْكِ، والذَّنْبِ، وَتَعَدِّيِ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَجَاوُزِ حُقُوقِ النَّاسِ.

وَقَدْ جَاءَ وَرَاحَ كَثِيرٌ مِنَ الظَّالِمِينَ وَالمَظْلُومِينَ عَبْرَ التَّارِيخِ. وَتَقْشَعُرُ جُلُودُنَا حِينَ نَقْرَأُ مَا فِي التَّارِيخِ مِنَ المَجَازِرِ وَإِبَادَةِ الجِنْسِ. وَنَرَى فِي هَذِهِ الحَوَادِثِ كَيْفَ يَتَحَوَّلُ الإِنْسَانُ إِلَى ظَلَامٍ إِذَا فَقَدَ الضَّمِيرَ وَالعَدَالَةَ وَالمَفْهَمَ لِأَهْمِيَّةِ رِعَايَةِ حُقُوقِ الآخَرِينَ وَالأُخُوَّةِ. وَمَعَ الأَسْفِ الشَّدِيدِ لَيْسَتْ الأَمَثَلَةُ لِذَلِكَ مَحْدُودَةً بِالعُصُورِ القَدِيمَةِ. فَلَمَّا يَمُضُ عَصْرٌ مُنْذُ الأَهْوَالِ الَّتِي شَهِدَهَا العَالَمُ فِي سَنَةِ ١٩٤٠ حِينَ قُتِلَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ المَظْلُومِينَ لِإِخْتِلَافِ دِينِهِمْ وَمُتَعَدِّيهِمْ وَجِنْسِيَّتِهِمْ حَتَّى انْتَهَتْ الحَالُ إِلَى إِبَادَةِ الجِنْسِ. وَكَذَلِكَ نَشْهَدُ اليَوْمَ الكَوَارِثَ الإِنْسَانِيَّةَ فِي تُرْكِسْتَانَ الشَّرْقِيَّةِ وَمِيَانَمَارَ. وَكُلُّنَا نَعْلَمُ كَيْفَ احْتَلَّ المُسْتَعْمِرُونَ البِلَادَ فِي إِفْرِيقِيَا وَالهِنْدِ فِي المَاضِي القَرِيبِ.

إِخْوَتِي الكِرَامَ،

إِضَافَةً إِلَى مَا ذَكَرْنَا مِنَ الوَقَائِعِ الرَّهيبَةِ فِي التَّارِيخِ، نَذَكُرُ المَذْبَحَةَ الجَمَاعِيَّةَ الَّتِي حَدَثَتْ فِي مِنتَقَةِ سِرْبَرِنِيسَا فِي البُوسْنَةِ. فَإِنَّهَا كَانَتْ إِبَادَةً جَمَاعِيَّةً. فِي يَوْمِ الخَمِيسِ القَادِمِ سُدْرِكِ الذِّكْرَى السَّنَوِيَّةِ الرَّابِعَةَ عَشَرَ لِهَذَا المَقْتَلِ بِالحُزْنِ وَالكَرْبِ وَكَذَلِكَ بِالبُغْضِ. وَسَتَجِدُّدَ الأَلَامِ حِينَ تَبْكِي الأُمَّهَاتُ لِمَوْتَاهُنَّ مِنَ الأَوْلَادِ وَالأَزْوَاجِ وَالأَقَارِبِ.

فَقَدْ كَانَ مَجْلِسُ الأَمْنِ لِلأُمَّمِ المُتَّحِدَةِ قَدْ أَعْلَنَ أَنَّ سِرْبَرِنِيسَا مِنتَقَةُ الأَمَانِ وَكَانَتْ القُبْعَاتُ الرِّزْقَاءُ الهُولَنْدِيَّةُ تُحَافِظُ عَلَيْهَا. مَعَ ذَلِكَ تَحَقَّقَتْ فِي الأَيَّامِ بَيْنَ الحَادِي عَشَرَ وَالسَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ تَمُوزِ مِنْ سَنَةِ ١٩٩٥ المَذْبَحَةُ الكُبْرَى فِي القَارَةَ الأَوْرُوبِيَّةَ بَعْدَ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ. وَالعَدَدُ المُحَقَّقُ مِنَ القَتْلَى فِي هَذِهِ الأَيَّامِ يَبْلُغُ ٨٣٢٥ مِنَ المُسْلِمِينَ البُوسْنِيِّينَ. وَقَدْ فَقَدَ العَالَمُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ ضَمِيرَهُ إِذْ سَكَتَ فِي وَجْهِ ذَلِكَ الظُّلْمِ العَظِيمِ. وَأَضَاعَتِ الأُمَّمُ المُتَّحِدَةُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَجْهَهَا وَثَبَّتْ أَنَّ الإِعْلَانَ العَالَمِيَّ لِحُقُوقِ الإِنْسَانِيَّةِ مُجَرَّدُ كَلَامٍ لَا عِبْرَةَ لَهُ فِي الوَاقِعِ. فَمَاتَ ضَمِيرُ العَالَمِ فِي مَذْبَحَةِ سِرْبَرِنِيسَا بِسُكُوتِهِ حِينَ قُتِلَ المُسْتَضْعَفُونَ مِنَ الأَوْلَادِ وَالشُّيُوخِ وَالعَجَائِزِ وَالنِّسَاءِ.

فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَمْنَعَ تَكَرُّارَ مِثْلِ تِلْكَ الكَوَارِثِ الإِنْسَانِيَّةِ فَعَلَيْنَا أَنْ نَجْتَمِعَ وَنَتَعَاوَنَ كَأَصْحَابِ الضَّمِيرِ وَالأَخْلَاقِ وَالعَدَالَةِ وَالرَّحْمَةِ لِنَتَأَذَّنَ بِصَوْتِ وَاحِدٍ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ الفُضَّلَاءُ،

حِينَمَا نُنْكِرُ عَلَى تِلْكَ الوَقَائِعِ التَّارِيخِيَّةِ وَنَحْزَنُ عَلَى مَوْتَانَا لَا نُنْسَ أَبَدًا أَنَّهُمْ سِيَّحَاسِبُونَ عَلَى مَا أَجْرُمُوا. فَوَعَدْنَا رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ أَنْ: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۗ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾¹ وَفِي نَفْسِ الوَقْتِ نُوَكِّدُ أَنَّا لَنْ نَقَابِلَ الظُّلْمَ بِالظُّلْمِ أَبَدًا. فَإِنَّهُ رُوِيَ عَنْ قُدُوتِنَا وَسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَظْلَمُوا فَتَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ، وَتَسْتَسْقُوا فَلَا تُسْقَوُا، وَتَسْتَنْصِرُوا فَلَا تُنصَرُوا»²

جَعَلْنَا اللَّهُ تَعَالَى مِمَّنْ يَنْصُرُ المُسْتَضْعَفِينَ فِي وَقْتِ الحَاجَةِ وَوَفَّقَنَا فِي تَأْسِيسِ العَدَالَةِ مَكَانَ الظُّلْمِ. آمِينَ

